خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة
٢٨ من جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ / ١٧ من نيسان ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلَّ ولا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٦-٨٧].

روى الحاكم أن رسول الله ﷺ قال: ((مُقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة)).

معاشر السادة: نُقَلِّب النَّظر في تاريخ الأمم التي بَلغت الذّروة في العزة والسيادة فَنَجدها إنَّما بلغت تلك الذّروة بما ملكت من قوة الروح العسكرية، فَبِقُوة الروح العسكرية تَسلم البِلاد من خطرٍ يَمتد إليها مِن الخارج، وبهذه القوة يَستتبُّ الأَمن داخل البلاد على ما يُرام ذلك أن القوة العسكرية تَجعل الأمة قوية الشوكة نافذة الإرادة مَرهوبة الجانب، وليس مِن عجب أن يَستَبِقَ المؤمن إلى الدِّفاع عن أرضه وعرضه وشرفه، وإذا نَظرنا إلى تاريخ العلماء الأَجلّاء وجدنا كَثيراً مِنهم كانوا يُسابقون في ميادين الحروب، وكان كَثيرٌ من القضاة يَقودون الجيوش، مِثلُ أَسد بن الفرات قاضي القيروان وفاتح صقلية، ويحيى بن أكثم قاضي بغداد، ومُنذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة، ونَجد في تراجم كثيرٍ من العلماء أنهم تُوفوا في غزوات أو مُرابطين في الثغور، وكانت تقدير العلماء للروح العَسكرية واتصالهم بها مِن أسباب قوة هذه

الروح وسَريانها في الأمة قاطبةً، هي المسابقة إلى دفع أيدٍ عادية عن نفوسٍ بريئةٍ أو أعراض مصونة وأموال محترمة، إذا كُنت قد أخطأت في فهم طبيعة هذه الحياة فَيَنبغي أن تُبادر إلى تصحيح هذا الخطأ نظرياً قبل أن تُكرهك الأحداث المفاجئة على تغييره عملياً، لَيست الحياة شيئاً سهل المنال قليل الأعباء، ولكنها شيءٌ صعب الإدراك كثير العقد جمُّ التكاليف، وإذا لم يُوطن المرء نفسه على أن يَكون الشَديد المتن أَيِّدَ الظهر فهيهات أن يَشق طريقه إلى غاية قريبة أو بعيدة، وقد أدرك الكثيرون هذه الحقيقة، وإن اختلفت مواقفهم منها، فالمتشائمون العابثون يمدّون أبصارهم إلى مباهج الحياة وهي مُولية فانية أو إلى مشكلاتها، وهي مُقبلةٌ هَاجمةٌ، ثم يقول قائلهم: بَصُرت بالراحة فلم أرها تُنال إلا على جسر من التعب. مِن هُنا ندرك أن هذه المتاعب هي وحدها سبيل التفاوت والتفاضل، ومِحكُّ المبادئ والفضائل، وهي كذلك الأحجار التي يتعثر فيها الضعاف فيسقطون، وينتهي عندها الأدعياء فيقفون، ولله درُّ من قال:

لولا المشقة ساد الناس كلهم *** الجُود يُفقِرُ والإقدام قتّال

والدين الحنيف يُعرف أبناءه صورة هذه الحياة على حقيقتها، ويُبصِّرهم بمتاعبها ولا يُهَوِّنُ مِن قيمتها، ويذكرهم بأن هذه المتاعب مَفروضةٌ بقدر مشترك على الكافرين وعلى المؤمنين، لا بد لكلا الفريقين مِن أن يَتعب ويُكافح ويتحمل، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوت﴾ [النساء: ٧٦] فلا نَاصر الكفر -كما ترى- مُراحٌ من أعبائِه، ولا ناصر الإيمان مُراحٌ من هذه الأعباء، فمن الحُمق الفرار من متاعب الحياة لأنها ستلاحق مَن لا يُواجهها، وتفرض نفسها عليه طوعاً أو كرهاً.

إن الله عز وجل يحب أن يَخذل الباطل بقوة أنصار الحق وتضحياتهم، وأن يَنصر الحق بما يَسوقه أهله بين يديه من مَغارم الدَّم والمال، وعلى هذا القانون دارت المعركة مُنذ الأزل بين الحق والباطل، فالجهد البشري المبذول مِن كلا الفريقين هو الذي يقرر المصير ويحدِّد النهاية، ولا يحب القدر أن يتدخلّ في أدوار المعركة لمصلحة أحد الخصمين قبل أن يُطبق عليهما قانونه العتيد، وقبل أن يَستنفد الكفاح المرُّ مِن طرفيه المتصارعين آخر ما في طاقتهما مِن جهد وآخر ما في جعبتهما من صبر، والمعجزات -يا سادة- التي أيدت الأنبياء في دعواتهما ووضعت بذرة البقاء في رسالتهم خَضَعت هي نفسها لهذا القانون، فالأزمة لا تُنافي المحنة، وضمان السماء لا يمنع ابتلاء الأرض، وقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يُواجه أحداث الهجرة، ويَنزل على قوانين الأسباب والمسببات عندما كان يتوارى نهاراً ويَسير ليلاً، وعندما كان

يمحو من خلفه الآثار التي تدلُّ على وجهته، ذلك كله في الوقت الذي أيده الله بجنود لم تَروها، وبثَّ في طريقه من الخوارق ما نعرف وما لا نعرف، ومن غفلة المؤمنين أن يَتناسوا هذه الحقيقة، وأن ينتظروا من قوانين الوجود أن تُحابيهم في كفاح أو أن تتملَّقهم، لأنهم أصحاب صلاةٍ وصيام، إذا احتدمت المعركة بين الحق والباطل حتى بلغت ذروتها، وقذف كل فريق بآخر ما لديه ليكسبها، فهناك ساعة حَرِجة يَصل الباطل بها إلى آخر قوته، ويبلغ الحق فيها أقصى محنته، والثبات في هذه الساعة الشديدة هو نُقطة التحول، والامتحانُ الحاسم لإيمان المؤمنين يَبدأ عندها، فإذا ثبت تحول كل شيء عندها لمصلحته، وهنا يبدأ الحق طريقه صاعداً، ويبدأ الباطل طريقه نازلاً، فانظر كيف كان المهاجران قاب قوسين أو أدنى من الموت في الغار، وكيف كان إسماعيل عليه السلام قاب قوسين أو أدنى من الذبح، وكيف وصل الابتلاء بموسى وقومه لما طارده فرعون وجنوده، حيث قال سبحانه: ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ [الشعراء: ٦٠-٦٢].

لذلك اهتم القرآن بخصلة البطولة والإقدام، فقد أقبل على النفوس وأخذ يُنقِّيها من رذيلة الجبن والإحجام، ويذكرها بسوء عاقبة الجبناء، قال سبحانه: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨] فقد أشارت هذه الآية إلى أن عاقبة الجبناء الابتلاء -انتبه أيها المسلم- فقد أشارت هذه الآية إلى أن عاقبة الجبناء الابتلاء بذي قوة لا يَعرف للعهد حرمةً ولا يقيم للعدل وزناً، حيث وَبَّخَ القرآن الجبناء لأنهم يفقدون جانباً من رجولتهم فيقعدون عن أداء الواجب، قال سبحانه: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧].

إن الفرار من صفوف القتال كبير المفسدة وَخيم العاقبة، ذلك أن الفَارَّ قد يَكون كاللبنة التي قد تسقط من أسفل الجدار فيتداعى لسقوطها الجدار كله، لهذا عَدَّ القرآن الفِرار من مواجه الأعداء من أكبر الخيانات، حيث قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦] والفرار مِن مواجهة العدو عارٌ يَجعل الحياة بغيضة، قال يزيد بن المهلّب: (إني لأبغض الحياة بعد الهزيمة) والخوف من مواجهة العدو دليل على ضعف الإيمان وانحطاط الهمة، ومدعاةٌ إلى تخاذل الأمة وانكسار شوكتها.

إن الرجل الحق هو الذي يغار على أرضه وعرضه وكرامته، ويأبى أن يُدنس الغرباء أرضه وعرضه، ويصوِّر ذلك قول عتبان الشيباني حين نزلت ثقيفٌ متغلبةً على أرضه حيث قال:

فلا صلحٌ ما دامت على منابر أرضنا يقوم عليها من ثقيف خطيب

إننا –معاشر السادة– في هذا اليوم الأغر المبارك نَحتفل بعيد الجلاء، ونَستذكر من هذه المناسبة الجليلة مواقف عظماءنا ورجالنا، الذين وَقفوا وقفة رجل واحد في مواجهة العدوان الفرنسي الغاشم على أرضنا، فقد أبى يوسف العظمة وزير الحربية إلا أن يُواجه الفرنسيين على الرَّغم مِن تواضع الإمكانيات التي بين يديه، ليكون ذاك درساً لكل طامع وحاقد أن سورية سَتبقى على مر التاريخ رَمز الصمود وتحدي، ومصنع الرجال والبطولات، وكم تغنى الشعراء وأشادوا بصمود دمشق، حيث راح الشاعر أحمد السقاف يُخاطب دمشق قائلاً:

صمودك فخر تحدى المفاخر وإيمانك الصلب هز المشاعر
ألا جولة تسحق الغاصبين وتجتاح ما شيدوا من دساكر
دمشق أيا بسمة في الشفاه و يا أملاً تجتليه الخواطر
عرفناك رائدة في الفداء وعاصفة في اقتحام المخاطر
فهبي فأبطالنا في القناة وللثأر أحرارنا والحرائر
ولا تحفلي إن تخلف قوم وناموا بلا نخوة أو ضمائر
ففي الفجر نور كما تشتهين وفي الفَجر يمحو الثناء الدياجر

إننا في هذا اليوم الأغر المبارك نَحتفل بعيد الجلاء، بجلاء آخر جندي فرنسي مُرتزق داس تراب هذا الوطن، وإننا اليوم أمام التآمر العربي الكبير، بمساندة غربية خطيرة من نوعها، نَقول للعالم بأسره: دمشق ما ركعت في الماضي حتى تركع اليوم، ودمشق ما فاوضت في يوم مِن الأيام على شبرٍ من أرضها حتى تفاوض اليوم، ولن تموت هذه الأوطان، ولن يموت هذا الوطن ما دام فيه أحفاد الشيخ صالح العلي، يا أهلنا في مدينة طرطوس، في مدينة الشهداء، إذا مَشيت في طرطوس فَامش وئيداً، وإذا تحدثت فتحدث همساً، فأنت في مدينة الشهداء، تحية إلى أهلنا في محافظة طرطوس، إلى أبناء وأحفاد الشيخ صالح العلي، الذين قدموا الغالي والرخيص من أجل الدفاع عن هذا الوطن، تحية إلى أهلنا الرجال العظماء في إدلب،

إلى أحفاد إبراهيم هنانو، الذين يعملون اليوم على مكافحة الإرهاب والإجرام لإزالته من أراضينا الطيبة الطاهرة، تحية إلى أهلنا بني معروف في جبل العرب، إلى أحفاد سلطان باشا الأطرش، تحية إلى هؤلاء العظماء، تحية إلى أحفاد وزير الحربية يوسف العظمة، تحية إلى كل سوري شريف، تحية إلى كل سوري يَعرف قيمة هذا الوطن، تحية إلى كل سوري يَعرف قيمة وطنه، تَحية إلى كل جُندي يَقف على الجبال وفي السهول والوديان مُدافعاً عن تراب هذا الوطن، تحية إلى كل عالم جليل في سورية، وقف وقفة حقٍّ من أجل حقن الدماء في هذا الوطن، ونَترحم في هذه الساعة المباركة على شَيخ الدُّعاة وإمامهم الدكتور مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي، هذا العالم الجليل الذي نَصح وأَرشد في بداية هذه المؤامرة على سورية، فالذين سَمعوا أدركوا أن فضيلة الدكتور رحمه الله قد قال كلمة الحق ابتغاء لوجه الله وحقناً لدماء السوريين، أما الذين لم يلتفتوا إلى كلامه أدركوا اليوم لأنفسهم أولاً، وأساؤوا لدينهم ثانياً، وأساؤوا لوطنهم ثالثاً، فسورية –يا سادة، اعلموا أيها العالم، اعلموا أيها العرب– سورية لن تسقط، سورية لن تركع، سورية لن تخضع، ومهما أجرمتم ومهما فعلتم، فلن نتخاذل في لحظة من اللحظات في الدفاع عن هذا الوطن الحبيب، فنحن عندما نقف أمام ضريح السلطان باشا الأطرش، وعندما نقف أمام ضريح المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي، وعندما نقف أمام ضريح يوسف العظمة، وغيرهم من الرجال العظماء الذين دافعوا عن هذا الوطن نتعلم منهم أن الجبن ليس مِن صفة الرجال، وأن الخيانة ليست من صفة الرجال، وأن الإقدام هي من صفة العظماء، وأن محاربة الإرهاب الغاشم هي من صفة الرجال العظماء، فإننا نقول لداعش قطاع الرؤوس ولفاحش وغيرهم من هذه المسميات المتعددة وصاحبة الهدف الواحد، كلهم يعزفون على وتر قتل الاسلام وإبادة العرب في أوطانهم، إننا نقول لهم: ما زلتم تَقطعون الرؤوس وتحرقون الأجساد وتُشنعون هنا وهناك في كل مواطن عربي شريف يُدافع عن أرضه وعرضه، فإننا نقول لهم: أنتم صراصير تحت أقدام المجاهدين الغيورين على أوطانهم وأعراضهم، يا هُتَّاك الأعراض ويا مدمري البلاد، قبحكم الله، لقد خَدمتم بني صهيون خِدمة لم يكونوا يحلموا بها أبداً من قبل، ولكننا نُكرر ونُؤكد أن أحفاد المجاهدين ما زالوا أحياءً، وهذه دمشق، سلوا دمشق –يا سادة– سلوا مساجدها، سلوا شوارعها، سلوا مآذنها ومنابرها، كم كان لها مِن وقفة جليلة في الدفاع عن هذا الوطن الحبيب.

معاشر الإخوة: ذكرى الجلاء تُجدد في نفوسنا العزيمة والإيمان والإصرار، ونقول لكل سوري ادعى الثورة أنت قتلت ابن وطنك، قتلت الجندي ابن وطنك، قتلت العالم ابن وطنك، قتلت الطفل ابن وطنك،

قتلت المرأة بنت وطنك، كل ذلك تحت مُسميات الثورة، إذا كنت تَجهل معاني الثورة فإننا نقول لك: ارجع إلى تاريخنا المجيد الحافل، انظر كيف اجتمع الثوار الحقيقيون، في جبل العرب، في الساحل السوري، في إدلب، على مساحة هذا الوطن الحبيب، كيف اجتمعوا وكانوا يداً كلمة واحدة في خندق واحد، لصد العدوان الفرنسي، أما أنتم –اسمعوا– أما أنتم سرقتم، قتلتم، خربتم، كذبتم، فَتَحْتُم قنوات الإعلام المغرضة، لِتَشتتوا العقول، ولتغرروا بالجهلاء، ودعمكم آل سعود، ودعمكم القطريون، وضحك عليكم شيوخ الخليج، شيوخ الفتنة والتضليل، وضللوكم حتى جعلوكم تحرقون وطنكم، والله حرام أن يُحرق هذا الوطن، والله حرام أن نُشرد من بيوتنا، والله حرام أن ترى وأن تَسمع بأعراض تُهتك من أجل لقمة عيش، من أجل إيواء ليلة واحدة، أين كنا وأين أصبحنا، كانت ثورتكم –يا كذبة– ثورة على الشعوب، ثورة على الشرفاء، نعم، كل شريف قتلتموه، كل شريف خطفتموه، كل شريف فجرتموه، أما الثوار الحقيقيون الذين نَفتخر بهم على مر التاريخ والذين تَغنى بهم الزمان والشعراء كانوا يداً واحدة وصفاً واحداً في خندق واحد، وسنحاربكم –يا جهلة– سنحاربكم بالقرآن الذي أنزله الله عز وجل، بالإسلام الحق، بالسُّنَّة النبوية المطهرة، وقد أنشأت وزارة الأوقاف منذ فترة قريبة –وكلنا يعلم ذلك– كتاب فقه الأزمة، هذا الكتاب الذين يَتجسد فيه علم الدكتور مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي، بأدلة وحجة وبرهان قاهر، من أراد يَنقضنا فليأتنا بدليل وحجة، هذا الكتاب ألفه علماء أجلاء، ألفه علماء يَخافون على وطنهم، يَغارون على أعراضهم، فنحن لن نَتخلى عن واقفنا ومبادئنا وتعاليم الشيخ الخالد في قلوبنا، في علمه وأخلاقه، الدكتور مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى.

ولنعلم –أيها الإخوة– أن الانتصار يكون بموت العظماء، فقد فقدنا كثيراً مِن العظماء في هذا الوطن، وها هي رايات النصر بدأت تلوح في الأفق، مِن أجل ذلك تجد تصعيداً مِن الإرهاب الغاشم هُنا وهناك، لأنهم شعروا أن حبل المشنقة بدأ يَلتف على أعناقهم، فلنعلم ذلك.

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانيـ٢ـة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، الله ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تُعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك أن تُعيد الأمن والاستقرار إلى رُبوع هذا الوطن الحبيب، اللهم إنا نسألك أن تَنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً، وأن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.